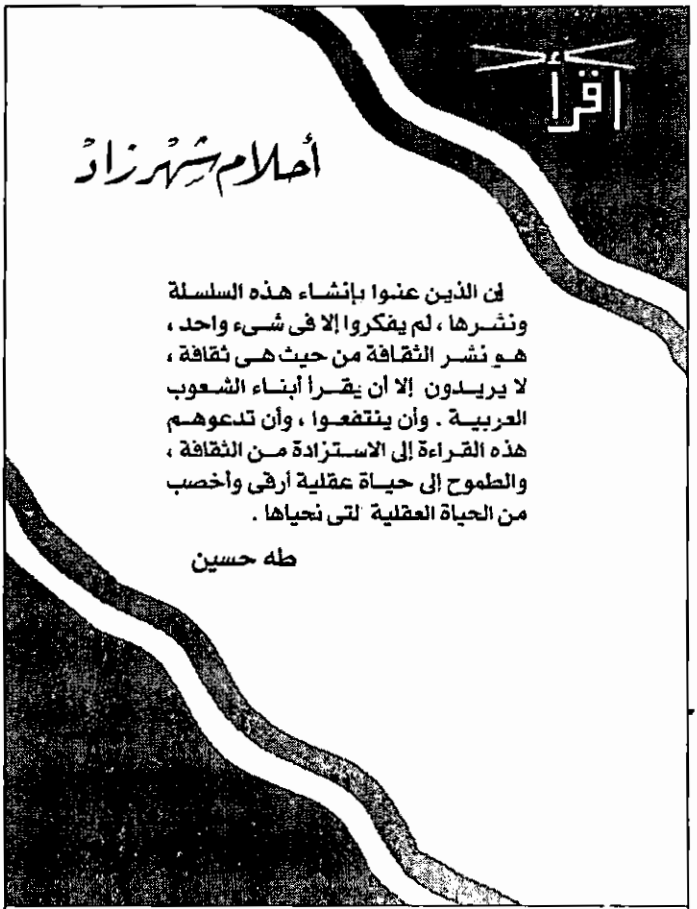

العدد الأول من سلسلة اقرأ الشهرية صدر عام ١٩٤٣

مقدمة

من أهم ما يميز المصريين فى عصرهم الحديث روح الفكاهة المنبثة فى أحاديثهم، فهم مشغوفون بالنكتة على كل شخص وكل شىء. وفى أحرج المواقف وأدقها لا تلبث بارقة الفكاهة أن تلمع وتتألق وترتسم على الأفواه والشفاه.

وليست هذه الروح جديدة على المصريين، فهى قديمة فيهم، ترجع إلى أعتق الأزمنة وأعمقها فى التاريخ، فمنذ برزوا على صفحة الزمن وهم يضحكون ويسخرون ويتهكمون. ألهمتهم ذلك عصور الشدة والرخاء منذ كانوا يحملون صخور الأهرامات على كواهلهم ويرفعونها بصدورهم وسواعدهم، ويحنو عليهم واديهم فيلقى فى حجورهم بحبه وثماره، ويملكون معظم العالم القديم ويلقى بين أيديهم بثرواته وكنوزه.

وقد مضت مصر فى عصورها القديمة والوسطى وفى العصر الحديث أثناء الاحتلال الإنجليزى البغيض تعانى هذين الضربين المتناقضين فى الحياة : ضربى الشدة والرخاء ، الشدة وما يطوى فيها من عسف بعض الحاكمين وظلم المحتلين ، والرخاء وما يطوى فيه من طيبات الرزق . وطبيعى أن يجر هذا التناقض وما يحمل من تضاد شديد إلى الفكاهة والسخرية .

وهيأت لمصر أوقات الفراغ الطويلة بين فصلى الزرع والحصاد أن تأخذ الفرصة دائمًا كى تنفس عن نفسها وتغسل فى معين الفكاهة ما قد يقع عليها من عسف وظلم . وكان توسطها بين الشعوب فى رقعة العالم وخصب أرضها وكثرة خيراتها سببًا فى أن ينزل بها أجناس مختلفون ، وأن ترى فيهم بديارها غرابة فى عاداتهم وأزيائهم وحين يتكلمون بلهجاتهم ، فكان دلك دافعًا آخر من دوافع الفكاهة .

وتحتاج الفكاهة إلى فضل من ذكاء ودقة فى الحس ورهافة فى الذوق والشعور ، وكل ذلك لا ينقص المصرى كما لا ينقصه حضور البديهة وسرعة الجواب . وهو لا يبارى فى اللعب بالألفاظ واستخراج ما فيها من معان ماكرة عن طريق التورية . واجلس فى أى مجتمع للمصريين أو فى مقهى من المقاهى وخاصة المقاهى البلدية حيث يجتمع العمال ومن لا عمل له ، فستجد الفكاهة تدور على كل لسان ، وستراهم حين يعجبهم أحد المتحدثين الفكهين يقولون إنه « ابن نكتة » دلالة على مدى إعجابهم به .

وهم يروون النكت ويتتبعونها كما يتتبعون أخبار «آخر ساعة» ومنهم من يقتصر بها على صحبه فى مجالسه الخاصة، ومنهم من يحترفها فى الحفلات العامة، وطائفة غير قليلة تحترفها فى الصحف والمجلات، حتى يقبل عليها القراء. وتسقط إلى صحافتنا بعض فكاهات غربية، ولكن من الحق أن نقول إننا فى هذا الباب نصدر - قبل كل شىء - عن ينابيع لا تنضب فى مزاجنا وجوهر طباعنا.

وكنا إلى عهد قريب لا نعنى بعرض هذا الباب الفكه فى أدبنا، لأنه كتب فى أكثره بلغتنا العامية، وكأننا انصرفنا عنه ترفعًا منا، أو استصغارًا لشأنه، مع أنه أكثر دلالة علينا وعلى نفسيتنا من كثير من الأدب الفصيح الجاد. ومن الواجب أن نقرن صفحة حياتنا الجادة بصفحة حياتنا الفكهة، حتى نطلع على حقيقة حياتنا اطلاعًا تامًّا أو كاملًا. وأنك لتجد مصر وشعبها ممثلين فى هذا الأدب الضاحك بأكثر وأقوى مما تجدهما فى الأدب الفصيح الخالى غالبًا من الضحك والهزل، لسبب بسيط، وهو أنه ينبع من صميم الشعب وينطق عن روحه ومزاجه بدون أى تصنع أو تكلف. والصحف التالية تعرض هذا الباب من أدبنا الشعبى عرضًا تاريخيًّا موجزًا. والله الهادى إلى سواء السبيل.

شوقى ضيف